وما سواها (398)

الجنون والجنون!!

د. صادق السامرائي- الطب النفساني، العراق / أمريكا

الجنون يعني لغويا ذهاب العقل أو إضطرابه , ونفسيا حالة من الإضطرابات العقلية تؤثر في التفكير والإدراك والسلوك وقد تكون مؤقتة أو مزمنة.

وفي هذا الإقتراب نعني به الخروج عن المعتاد وتجاوز قدرات الخيال والإبتصار , حتى لتجدنا في عالم تعجز عقولنا على إستيعاب ما يدور فيه من أحداث وتفاعلات , ومبتكرات سبقتنا وعلينا أن تستحضر مهارات التكيف الفعّال معها.

أولا: الجنون العلمي!!

ما يجري في أروقة المختبرات العلمية , وما يتوصل إليه الباحثون من مكتشفات ومخترعات يفوق التصورات , ولا يمكن لخيال أن يستحضره , فالبشر صار يتدخل في خلق البشر!!

فالنانو تكنولوجي وما قبلها وما بعدها وحولها , والتعامل مع الشفرات الجينية في الحوامض الأمينية , والسرعة الهائلة في تطور علوم الكوبيوترات والتواصلات الرقائقية والذكاء الإصطناعي , وغيرها من المبتكرات المذهلة , المتفاعلة مع المستقبل المتخيل , جعل الواقع المعاش أغرب من أي خيال.

وما تحلم به العقول الفائقة القدرات المُحركة للحياة فوق التراب , ستساهم في صيرورات مرعبة قد تدفع إلى القضاء على الموجودات الحية وتمحق الحياة.

فكل شيئ يتغير , وما عاد البشر آدمي المواصفات , بل ستتدخل التكنولوجيا , وسيكون بشر المستقبل مجموعة من الرقائق الإليكترونية المتفاعلة في بدنه , والمقررة لمصيره اليومي.

البعض يتحدث عن صناعة البشر بمواصفات مطلوبة , ويُقال أن الدول القوية تسعى لتخليق بشر بمواصفات خارقة وقدرات قتالية فائقة , وأنه لا يمكن قتله أو إفناءه بل يفني ولا يُفنى , وكأن المعارف لا بد لها أن تكون أكثر تقدما وإقتدارا في الميادين العسكرية.

فالمستقبل يشير إلى أن البشر سيقاتل ما يبدو بشرا وهو أعظم من البشر بقدراته المتنوعة , وأن الموجودات التكنولوجية ستكون فاعلة في الميدان , فبعد المسيّرات , سيتم صناعة الفراشات التي ستغزوا الأوطان , وربما الجراد الصناعي المحوّر بايولوجيا ليفتك بالزرع والضرع , فالإبتكارات الخارقة تأتي بما لا يخطر على بال.

ومن أرعب ما توصلت إليه العقول العلمية أنها راحت تتعامل مع الشفرات الجينية وكأنها أرقام حسابية , وكل رقم يمثل حالة ما , ويُقال أن البشر تعلم هذا السر من البكتريا التي تحتفظ بالحوامض الأمينية والشفرات الجينية للفايروسات التي تصيبها , لكي تتعرف عليها وتتوقى منها وتعمل على إنتاج أجيال لا تتأثر بها.

الجنون يعني لغويا ذهاب العقل أو إضطرابه , ونفسيا حالة من الإضطرابات العقلية تؤثر في التفكير والإدراك والسلوك وقد تكون مؤقتة أو مزمنة.

ما يجري في أروقة المختبرات العلمية , وما يتوصل إليه الباحثون من مكتشفات ومخترعات يفوق التصورات أن يستحضره , فالبشر صار يتدخل في خلق البشر!!

ما تحلم به العقول الفائقة القدرات المُحركة للحياة فوق التراب , ستساهم في صيرورات مرعبة قد تدفع إلى القضاء على الموجودات الحية وتمحق الحياة

كل شيئ يتغير , وما عاد البشر آدمي المواصفات , بل ستتدخل التكنولوجيا , وسيكون بشر المستقبل مجموعة من الرقائق الإليكترونية المتفاعلة في بدنه , والمقررة لمصيره اليومي.

فإلى أين ستصل البشرية؟

وهل ستجني على نفسها وأهلها براقش؟

فهل صار العلم أخطر التحديات التي تواجهنا؟!!

ثانيا: جنون الكراسي!!

إذا جنت الكراسي إنطلقت المآسي , ولن تتوقف ما دام الجنون دائب الإفتراس , وعندما تتكاثر الكراسي المجنونة , فالحياة تتحول إلى مسيرة مأفونة.

والمقصود بجنون الكراسي أن يتوطنها الذين تقودهم أمّارة السوء التي فيهم , فتطلق أهواءهم وتدفع بهم إلى مهاوي سقر وهم في غفلتهم يعمهون.

ويبدو أن الدنيا في محنة جنون الكراسي , بعد أن صار اللعب بالنار والنووي من هواياتها المفضلة , فتسعى إليها بإندفاع عجيب , وكأنها تريد الإحتراق في مواضعها , لتحيل كل موجود إلى هشيم.

الدول التي كنا نراها متقدمة وذات حكمة وعقل راجح , وضعت حُجاتها في صناديق مظلمة وأخذت تعمل لصالح ما فيها من نوازع الشرور وكوامن الكراهية والبغضاء والثبور , وكأن التواصل بسفك الدماء والخراب والدمار ديدن ما تسعى إليه.

العالم المتقدم , أسقط أقنعته وتعرى أمام التأريخ , وكشرت الوحوش الضاريات فيه عن أنيابها , وإنطلقت بواعث الفتك بالآخرين , والنيل من وجودهم , وعليها أن تبقى وتتقدم ولا يجوز لغيرها أن يكون في عرين.

فأجيال ما بعد الحرب العالمية الثانية أمضت أعمارها مخدوعة مضللة بالأفك الذي خيم على سبعة عقود , حقق العالم الأقوى فيها إفتراس الشعوب وإمتصاص ثرواتها , وتدمير وجودها ورهن مصيرها بأنظمة حكم , تؤدي خدمات الطاعة لمشاريعه الإستحواذية على خيرات ومصائر الشعوب.

وبعد (2022\2\24) تبين الخيط الأبيض من الأسود , وإنبلج فجر الوعي المبين , وما عادت تنطلي على البشر اللغة التي تدس السم بالعسل.

وها قد ردت بضاعتهم إليهم , وأصبحنا نراقب ما يدور في بلدان الإقتدار والديمقراطيات والإعتزاز بحقوق الإنسان , فالدنيا دوّارة , وستصل إلى ما تريد رغم إرادة القوى , ولن ينجو من طحن الدوران مخلوق عتيد.

وعلى الباغي تدور الدوائر , فهل سينجو الخلق من هذا الوعيد؟!!

ثالثا: جنون النار!!

دولة ذات عمران معاصر وبنى تحتية متطورة وقدرات إيجابية نافعة للبشرية , يتم تدميرها ومحقها عن بكرة أبيها , والعالم يعيش في دوامات هستيريا الشرور الجماعية , التي تؤجج العدوانية وتؤلب الطاقات التدميرية , وتفعّلها بإندفاعية هائجة ذات تداعيات مرعبة.

ولا من حكمة أو حلم , ولا توجه نحو السلم والسلام , بل نزعات إنتحارية يساهم الإعلام الموجَّه المُضلل بتنميتها ودفع البشر نحوها.

فالإعلام الدعائي الحربي يسقي الرأي العام خمر الأضاليل والدجل ويسعِّره نفسيا وعاطفيا , ويلهب الإنفعالات اللازمة لتعطيل العقل ورفض السلام.

أربعون دولة تؤجج بعضها البعض , وتتقيأ ما عندها من قدرات الإفناء في أرض إختارتها ميدان

أن الدول القوية تسعى لتخليق بشر بمواصفات خارقة وقدرات قتالية فائقة , وأنه لا يمكن قتله أو إفناءه بل يفني ولا يُفنى , وكأن المعارف لا بد لها أن تكون أكثر تقدما وإقتدارا في الميادين العسكرية

من أرعب ما توصلت إليه العقول العلمية أنها راحت تتعامل مع الشفرات الجينية وكأنها أرقام حسابية , وكل رقم يمثل حالة ما

إلى أين ستصل البشرية؟
وهل ستجني على نفسها وأهلها براقش؟
فهل صار العلم أخطر التحديات التي تواجهنا؟!!

إذا جنت الكراسي إنطلقت المآسي , ولن تتوقف ما دام الجنون دائب الإفتراس , وعندما تتكاثر الكراسي المجنونة , فالحياة تتحول إلى مسيرة مأفونة.

الدول التي كنا نراها متقدمة وذات حكمة وعقل راجح , وضعت حُجاتها في صناديق مظلمة وأخذت تعمل لصالح ما فيها من نوازع الشرور وكوامن الكراهية والبغضاء والثبور , وكأن التواصل بسفك الدماء والخراب والدمار ديدن ما تسعى إليه.

العالم المتقدم , أسقط أقنعته وتعرى أمام التأريخ , وكشرت

إنمحاق وثبور , والمفترسون يضللونها ويوهمون قادتها بأنها لمنتصرة , وقادرة على كسر شوكة القوة الهائلة الزاحفة نحوها بإرادة أسدٍ هصور.

العجيب في الأمر أن البشرية تمر بنوبات عدوانية , تدفع بها إلى أتون المهالك الجسيمة , وقد حصلت في القرن العشرين لأكثر من مرة , وها هي تبدأ مشوارها الجنوني في الربع الأول من القرن الحادي والعشرين , وبأسلحة فتاكة غير مسبوقة.

فلماذا لا تستفيق الكراسي من غيّها , وتجنح للسلام والوئام , وتجنّب البشرية ويلات العدوان والإنتقام؟

المخاوف تتراكم , وفي الكراسي المهيمنة بعض المغفلين , وضعاف العقول , وكأنهم لا يدركون عمّاذا يتحدثون , فهل أزفت القارعة , وجحيم الأرض قد بدأ؟!!

" وما الحربُ إلا ما علمتمْ وذقتمُ
وما هو عنها بالحديثِ المُرجَّمِ
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وتَضْرَ إذا ضَرَيْتُموها فتَضْرَمِ"!!

رابعا: جنون الحروب!!

"أحْرَبوها فأقادَتْ فِتنةً...وإذا الناسُ أضاعَتْ حِكْمَةً"

المجانين يكتبون التأريخ ويقررون مصير الآخرين , والعقلاء مطاياهم المذعنون!!

فالحروب سلوك جنوني بوصلته الأوهام , وسفك الدماء , والقدرة على الإمساك بعنق الحياة , والإنتصار على إرادة الزمن وقهر فعل الدوران , الذي يصيب قادة الدنيا بالإعياء والغثيان.

فالقادة يشعرون بضغط الدوران وعليهم أن يتحذّروا , ويأخذوا كل شيئ بالحسبان , فتصاب رؤوسهم بالطيشان.

الحروب كالنيران إذا أجّت في غابات البشر الحيران , فأن إخمادها يخرج عن قدرات الإنسان , لأنها ستؤجج العواطف وتفلت الطباع الشرسة المطمورة , المأسورة بالخوف والإمتهان.

إن إنفجار العواطف البشرية الجمعية , أقوى من أي إنفجار تشهده الأرض , وقد تكررت هذه الإنفجارات العدوانية في حقب متعاقبة عبر العصور , فأفنت الأبرياء وإرتكبت المجازر المروعة والفظائع الكبرى , وما هدأت طويلا , وإنما تعاد الكرة بين فينة وأخرى , وكلما طالت فترة الهدوء , كان الوجيع شديدا ووقعها خطيرا.

ولهذا فأن البشرية بعد أن تمتعت بهدوء نسبي على مدى سبعة عقود أو يزيد , ربما تأهبت للقفز إلى أتون صراعات عنيفة مروعة يفقد الإنسان فيها قيمته , ويتحول إلى رقم جاهز للإمحاء.

وما يجري في واقع الزمن المعاصر , يمتلك مؤهلات إندلاع حروب ما قبلها ولا بعدها حروب , أي أن الدنيا إن لم تتأبط حلمها , وتفعّل عقولها , فستدخل في متاهات سقر , التي لن تعرف الخروج منها إلا بعد أن تتحول إلى عصف مأكول , ورماد تذروه رياح العصور على مدى قرون وقرون.

وبعدها سيُعاد ذات السلوك , وتفرض الأرض إرادتها على مخلوقات لا تعرفها , وتنتقم منها , وتؤذيها بما تبتكره عقولها المنطلقة في دروب الشر الشديد.

فهل سترعوي كراسي الوعيد؟!!

خامسا: الجنون الفاعل فينا!!

الوحوش الضارية فيه عن أنيابها , وإنطلقت بوائحه الفتك بالآخرين , والنيل من وجودهم

أجيال ما بعد الحرب العالمية الثانية أمضت أعمارها مخدوعة مضللة بالأفك الذي خيم على سبعة عقود , حقق العالم الأقوى فيها إفتراس الشعوب وإمتصاص ثرواتها

الإعلام الدعائي الحربي يسقي الرأي العام خمر الأضاليل والدجل ويسعّره نفسيا وعاطفيا , ويلهب الإنفعالات اللازمة لتعطيل العقل ورفض السلام

العجيب في الأمر أن البشرية تمر بنوبات عدوانية , تدفع بها إلى أتون المهالك الجسيمة , وقد حصلت في القرن العشرين لأكثر من مرة , وها هي تبدأ مشوارها الجنوني في الربع الأول من القرن الحادي والعشرين , وبأسلحة فتاكة غير مسبوقة.

المخاوف تتراكم , وفي الكراسي المهيمنة بعض المغفلين , وضعاف العقول , وكأنهم لا يدركون عمّاذا يتحدثون , فهل أزفت القارعة , وجحيم الأرض قد بدأ؟!!

الحروب سلوك جنوني بوصلته الأوهام , وسفك الدماء , والقدرة على الإمساك بعنق الحياة , والإنتصار على إرادة الزمن وقهر فعل الدوران , الذي يصيب قادة الدنيا

كلما أبحرتُ بعيدا في دنيا الأمراض النفسية , تبدو الأعراض المنسوبة إليها فاعلة في البشر المحتدم الصراع فوق التراب , فهناك جنون جماعي أو مجتمعي , وإن شئت أممي يهيمن على مسيرة الدنيا عبر الأجيال , فالجنون قائدنا , والتعقل عدونا!!

أثناء الحرب العراقية – الإيرانية , كنتُ على قمة جبل شاهق في مواجهة الآخرين في الطرف الآخر , وهم أناس متخندقة في التراب , وقد إلتحت وتوحشت , وصارت تتعامل مع الموت على أنه الحياة , وكم منهم أراد إبادتي لكن الأقدار أنجتني من رصاصة طائشة أو شظية شرسة.

حينها كان السؤال المصدح في آفاق الوعي وفضاءات الخيال , أ يوجد وصف للجنون يتفوق على ما أنا فيه من حال ومآل؟!

ما كنتُ أعرف الجواب , لكني كنتُ أدرك أن العلة في العقل , وأن النفس الأمّارة بالسوء سيدة مطاعة , وطاقات الشر لا حدود لها , وسهلة الإنطلاق والتأثير.

فما أسهل القتل والتلذذ بتعذيب مَن تسميه عدوا!!

إن المواجهة بين الحياة والموت تكشف لنا عن خبايا التفاعلات المريرة السارية في مستنقع الحياة , التي يأكل فيها القوي الضعيف , ويعم أرجاءها الدمار والخراب , وإنها غاب فتاك , ومسرح لإنفلات الشرور وتأمين الخطايا والآثام.

كانت الأيام تتدحرج على سفح جبل مدثر بثلج كالزجاج الذي تتزحلق عليه إلى وديان الفناء المبيد , حيث تتكالب عليك طيور جارحة كأنها العفاريت , لا تبالي بكونك بشر , فهي تريد أن تلتهم بدنك , فهذا رزقها وقد تجمعت حولك متصارعة على ماعون ثريد.

وعندما نأخذ هذه الصورة المصغرة ونبسطها على جسد الدنيا الواسعة المتكورة الدوارة المتقاقمة الصراعات , نكتشف أن الجنون طاقة مدوية متأكدة في تفاعلات الدول والمجاميع البشرية في بقاع اليابسة الدانية والقاصية , ولا فرق بينها , فلو وضعت البشر على سطح المريخ , فأنه سيتفاعل هكذا بعد حين , فما أن يزداد عدده حتى تنهض إرادة الوعاء الذي يتوطنه , لتعيد الأمور إلى نصابها , وتستريح من نداءات الحيف المزمجرة في دنياه.

فالأرض المعاصرة تعيش حالات جنون متداخلة , ذات مواصفات عسكرية وعلمية وتواصلية وإليكترونية وفايروسية , ويبدو أن طاقة الجنون تتراكم وتسعى للتعبير الأقسى عن جوهرها , مما يعني أن البشرية سينتصر عليها جنونها , وستمضي إلى حيث تقرر الأرض لأنها موجود أناني لا يمكنه أن يسمح للكائنات المتوالدة من رحمه أن تقضي عليه , ولهذا سيؤهلها للقضاء على نفسها بنفسها , وهذا المصير لم يعد بعيدا.

فهل للجنون قرار , وهل لنا منه فرار؟!!

سادسا: الجنون الكامن!!

من المعروف أن الجنون طاقة كامنة في المخلوق ولا يشذ البشر عن ذلك , فهو الذي يكون مؤهلا لإطلاق طاقاته الجنونية , وفقا لقدراته التعبيرية ومهاراته التفاعلية مع محيطه , وبآلياته الإستجابية للمنبهات المتوافدة إليه , والمستنهضة لكوامن ما فيه.

والجنون في جوهر معناه , قدرة إبداعية قد تبدو في ما لا يحصى من العطاءات الفنية والأدبية والعلمية.

فالأفكار التي أوجدت حياتنا المعاصرة , هي وليدة حالات جنونية ما , أسهمت في صيرورتها

بالإحياء والغثيان.

إن إنفجار العواطف البشرية الجمعية , أقوى من أي إنفجار تشهده الأرض , وقد تكررت هذه الإنفجارات العدوانية في حقب متعاقبة عبر العصور , فأفنت الأبرياء وإرتكبت المجازر المروعة والفظائع الكبرى , وما هدأت طويلا , وإنما تعاد الكرة بين فينة وأخرى

البشرية بعد أن تمتعت بهدوء نسبي على مدى سبعة عقود أو يزيد , ربما تأهبت للقفز إلى أتون صراعات عنيفة مروعة يفقد الإنسان فيها قيمته , ويتحول إلى رقم جاهز للإمحاء

كلما أبحرتُ بعيدا في دنيا الأمراض النفسية , تبدو الأعراض المنسوبة إليها فاعلة في البشر المحتدم الصراع فوق التراب , فهناك جنون جماعي أو مجتمعي , وإن شئت أممي يهيمن على مسيرة الدنيا عبر الأجيال

إن المواجهة بين الحياة والموت تكشف لنا عن خبايا التفاعلات المريرة السارية في مستنقع الحياة , التي يأكل فيها القوي الضعيف , ويعم أرجاءها الدمار والخراب , وإنها غاب فتاك , ومسرح لإنفلات الشرور وتأمين الخطايا والآثام

الأرض المعاصرة تعيش حالات

وتحويلها إلى موجود مؤثر في مسيرة الأحياء فوق التراب وفيه.

ومن منظور إدراكي فأن كل مخلوق فيه نسبة معينة من الحنون يترجمها في سلوكياته اليومية , لكنها منتشرة ومتغلغلة في محصلة السلوك الذي يساهم في إخفائها , والذين نسميهم مجانين , تتركز فيهم تلك النسبة وتتكاثف وتزداد صلادة وتأبى التميع والذوبان في محلول السلوك العام , أو الإمتزاج بمفرداته وعناصره والغياب فيه.

وهذا ما يميز المجنون المترجم لجنونه بتواصل , والذي يختزن جنونه النسبي ويسعى لدسه في محصلة حالته السلوكية التي يبدو عليها.

ومن الواضح أن التفاعل مع المجانين المنغمسين في مفردات جنونهم , تُظهر لنا أوجها عديدة من اللا جنون , حتى ليبدو جنونهم صورة نسبية أو صغيرة لكنها ساطعة ومتوهجة بالقياس إلى صورتهم الكبيرة.

ويبدو الجنون بنسب متفاوتة في الشخص الموصوف بالجنون , وهذه النسب المتفاوتة هي التي تجعل الجنون غير متطابق أو متشابه بسبب تفاوت نسبة الجنون الفاعلة في الشخص.

فهناك حنون بسيط وآخر معقد وشديد , ومن الصعب أو المستحيل الإقتراب من الجنون المتصلد المتمترس في نسبته المجنونة , والمتفاعل مع الذات الشخصية الكبرى بإنعزالية كبيرة.

فالجنون المتحفز أو الناشط قد يخمد فيبدو الشخص سويا , لكنه ينتهز الفرصة المواتية للتعبير عن جنونه , وهذا يفسر الكثير من الجرائم وأعمال العنف التي يقوم بها أصحاب الجنون النسبي المنزوي في زوايا أعماقهم السحيقة , عندما تتوفر الظروف المؤهلة لترجمته.

فكل فعل خارج عن المعتاد , إنما ينطلق من قاعدة جنونية معينة , فالإبداع بأنواعه يقدحه جنون معين , وصوت يتفاعل مع مفردات وناصر تتخلق في أطر وصيرورات , ذات ملامح ومميزات إبداعية تكسبها إسمها وشخصيتها.

والجنون في جوهره خروج عن المألوف , وإنطلاق من قبضة القيود والطاقات الإنقباضية الحابسة الكابسة للإرادات البشرية.

وبمعنى آخر , يكون الجنون إرادة متحررة متحركة بعشوائية , أو بمسارات منتظمة للوصول إلى غايتها المنشودة.

ولهذا فأن الجنون قد يكون فرديا وهو الشائع , أو جماعيا ومطلقا كما يحصل للبشرية بين آونة وأخرى , حتى وكأنها تعيش عصرا يخبرنا بأنها على شفا حفرة من الجنون العولمي الأكبر.

ومن هنا فأن القول بأن الجنون مرض يثير تساؤلات , ويستدعي أدلة وبراهين للأفراد الذين يكتسبون هذه التسمية أو التوصيف.

وكم من المجانين الذين تراهم بقدرات عقلانية ورؤى معرفية متفوقة على الذين يرونهم كذلك.

ولا يمكن الجزم بأن المخلوق لم يمر بمرحلة أو فترة جنونية في حياته , لكنها طارئة وغير قادرة على الثبات , وفي بعض المخلوقات ما أن تنهض النوبة الجنونية حتى تدخل في دائرة من المتواليات الهندسية الحاثة لكينونات جنونية متراكمة , وقادرة على التخلق والتوالد والتمكن من الشخص وإستعباده , ليكون رمزها والمترجم الأصدق لمحتواها وتجسيد إرادتها وتطلعاتها.

وفي واقع الرؤية البشرية للجنون والإقترابات المعاصرة , أصبح التواصل مع الحالات المجنونة بأساليب عقلانية وتفاعلات منضبطة في محاولة لإعادة ترتيب الأدمغة , وتنمية النسبة المتعارف عليها والمتوافقة مع السائد المقبول , والسعي لمحاصرة الأفكار المجنونة وإعادتها إلى خنادق كمونها وخمودها.

جنون متداخلة , ذات مواصفات عسكرية وعلمية وتواصلية وإليكترونية وفايروسية , ويبدو أن طاقة الجنون تتراكم وتسعى للتعبير الأقسى عن جوهرها

من المعروف أن الجنون طاقة كامنة في المخلوق ولا يشذ البشر عن ذلك , فهو الذي يكون مؤهلا لإطلاق طاقاته الجنونية , وفقا لقدراته التعبيرية ومهاراته التفاعلية مع محيطه , وبآلياته الإستجابية للمنبهات المتوافدة إليه , والمستنهضة لكوامن ما فيه.

من منظور إدراكي فأن كل مخلوق فيه نسبة معينة من الحنون يترجمها في سلوكياته اليومية , لكنها منتشرة ومتغلغلة في محصلة السلوك الذي يساهم في إخفائها

أن التفاعل مع المجانين المنغمسين في مفردات جنونهم , تُظهر لنا أوجها عديدة من اللا جنون , حتى ليبدو جنونهم صورة نسبية أو صغيرة لكنها ساطعة ومتوهجة بالقياس إلى صورتهم الكبيرة

الجنون في جوهره خروج عن المألوف , وإنطلاق من قبضة القيود والطاقات الإنقباضية الحابسة الكابسة للإرادات البشرية.

يكون الجنون إرادة متحررة متحركة بعشوائية , أو بمسارات منتظمة للوصول إلى

فالجنون يحكمنا ويتحكم بمصيرنا ويقرر مستقبل أرضنا ومعطيات كوننا الفسيح!!

فهل سندرك أن العقل السوي يقبض على جمرات جنون؟!!

سابعا: الجنون إنسان؟!

لا يمكن للجنون أن يكون رجلا أو امرأة بل كليهما معا , فجنون الرجل منبعه بوادر إمرأة مجنونة وقدرتها على التلاعب بمفردات جنونه والعكس صحيح أيضا.

ومجانين الحب كثيرون وأشعار جنون الحب لا تحصى , ومفردات التعبير عن المشاعر البشرية المجنونة لا تتوقف , فقد يكون الرجل مجنونا بإمرأة أو المرأة تكون مجنونة برجل , ولا يمكننا أن نقدر كيميائية التفاعل ومعادلات التلاحم بين الخفايا الحسية والنفسية المعتملة بينهما.

وقد يكتب الرجل عن جنون إمرأة أو قد تكتب المرأة عن جنون رجل لكنهما في حقيقة فعلهما التعبيري يصوران إنطباعاتهما المجنونة عن بعضهما البعض , ويتفننان في رسم صورة الجنون لتكون شعرا أو إبداعا أيا كان نوعه وصياغاته , وغموضه ودلالاته ومباشرته وتكراره وتماديه بالإبهام والتصوير الضبابي والوهمي.

والجنون في تعريفه يعبر عن حالة الإنقطاع عن واقع الأشياء وصياغة واقع متصور في ذهن الشخص , يكون محشوا بتفاعلات إضطراب التفكير والتوهم والخيال المشوش , والتلقي المنحرف لمنبهات الواقع المحيط ودلالته ومعانيه , بحيث يبدو المجنون وكأنه في عالم لا يرتبط بالعالم الذي يتحرك فيه باقي البشر.

إذ يرى المجنون ما لا يراه مَن هم حوله , ويعتقد بأفكار لا يعتقد بها عامة الناس في محيطه الثقافي والإجتماعي , ويتفاعل بأفكاره التي فقدت القدرة على التماسك وأصابتها الهلامية والميوعة , فتداخلت مع بعضها لتنتج أفكارا لا يمكن فهمها أو ردّها إلى جهاز التفكير المتعارف عليه في رأس البشر.

والمجنون قد يستجيب لِما فيه من إضطراب أفكار وتصورات وهلوسات , مما يضعه في موقف يتقاطع وطبائع التفاعلات البشرية المتعارف عليها في محيطه , فيدفع إلى إتخاذ إجراءات لعزله عن واقعه أو إدخاله المصحات العقلية لعلاجه ومداواة الإضطرابات الحامية في رأسه , لكي يرى بوضوح ويتعامل مع مفردات الواقع الموضوعي , وليس الواقع الذي صنعه لنفسه وصار فريسة له وضحية لمعطياته الوهمية المختلفة.

ويبدو أن في كل فرد بشري نسبة معينة من الجنون , التي يمكنه أن يسيطر عليها ويكتمها في أعماق عقله ويهذب سلوكه على ضوء المحيط الذي هو فيه.

وهذه النسبة من الجنون يمكنها أن تنهض وتعبّر عن نفسها في سلوكيات إبداعية , وحالات هيام وعشق وتوقد وتحرر من قيود سلطة الوعي والإدراك العقلي مثلما يحصل في حالة السكر الشديد , فيبدو الشخص مطلوق الرؤى والتصورات ومعبرا مباشرا عمّا يجيش في أعماقه من تجليات بعيدة عن واقع ما يرى ويلامس من حوله.

ويبدو أن في الحب بذور جنون تدفع بالبشر إلى التفاعل الغريب وفقا لنداء الطبيعة وقوانينها الخفية , التي تحرك طاقات الانتماء إلى الآخر وتفرزه عن الآخرين وتجعله يبدو وكأنه الهدف الوحيد , الذي يمكن لجنون التواصل والبقاء أن يتحقق من خلال التفاعل معه والإنتماء إليه والذوبان في تفاصيل وجوده الشامل.

وفي كتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي الكثير من شواهد الذوبان الجنوني ما بين العاشقين

غايتها المنشودة

الجنون قد يكون فرديا وهو الشائع , أو جماعيا ومطلقا كما يحصل للبشرية بين آونة وأخرى , حتى وكأنها تعيش عصرا يخبرنا بأنها على شفا حفرة من الجنون العولمي الأكبر

الجنون في تعريفه يعبر عن حالة الإنقطاع عن واقع الأشياء وصياغة واقع متصور في ذهن الشخص , يكون محشوا بتفاعلات إضطراب التفكير والتوهم والخيال المشوش

إذ يرى المجنون ما لا يراه مَن هم حوله , ويعتقد بأفكار لا يعتقد بها عامة الناس في محيطه الثقافي والإجتماعي , ويتفاعل بأفكاره التي فقدت القدرة على التماسك وأصابتها الهلامية والميوعة

المجنون قد يستجيب لِما فيه من إضطراب أفكار وتصورات وهلوسات , مما يضعه في موقف يتقاطع وطبائع التفاعلات البشرية المتعارف عليها في محيطه

يبدو أن في كل فرد بشري نسبة معينة من الجنون , التي يمكنه أن يسيطر عليها ويكتمها في أعماق عقله ويهذب سلوكه على ضوء المحيط الذي هو فيه

يبدو أن في الحب بذور جنون تدفع بالبشر إلى التفاعل الغريب وفقا لنداء الطبيعة

وقوانينها الخفية

في كتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي الكثير من شواهد الدوبان الجنوني ما بين العاشقين وصيرورتهم المجنونة , التي قد تصل إلى حد لا يمكنه أن يحقق إرادة التواصل والبقاء النوعي

في الختام هل ترعوي البشرية وتثوب إلى رشدها وتحترم مخلوقاتها وتعترف بقيمة البشر وحقوقه وتحافظ على حياته من آفات السوء والبغضاء؟!! , ولا يمكن لخيال

وصيرورتهم المجنونة , التي قد تصل إلى حد لا يمكنه أن يحقق إرادة التواصل والبقاء النوعي , وهذا ما يفعله الجنون المرضي الذي يقطع المخلوق عن واقع الحياة الذي عليه أن يتفاعل معه ويحقق وجوده من خلاله.

ووفقا لأعراض الجنون وعلاماته وطبيعته وأسبابه وما يؤدي إليه , يكون من غير الصحيح أن نلصق الجنون برجل أو امرأة فحسب , وإنما هو ظاهرة بشرية عامة ومتفاعلة مع الجنسين في كل الأحوال , فلا توجد دراسات تؤكد أن الجنون يصيب الرجال أكثر من النساء بل أنه ظاهرة يصعب تفسيرها وتصيب الجنسين على حد سواء , وهذا ينطبق على جنون الحب والهوى وعلى جميع التفاعلات القائمة ما بين الجنسين على وجه الأرض ومنذ الأزل.

فقد نرى إمرأة متيمة برجل أو نرى رجلا متيما بامرأة , ونرى هذا يكتب عن هذه وهذه تكتب عن هذا , وفي واقع الأمر فأن الاثنين قد إستلطفا هذا الجنون ولهذا كتبا عنه , ولولا هذا الاستلطاف لما كتبت المرأة عن جنون الرجل بها أو كتب الرجل عن جنون المرأة به , وفي الحالتين هناك إرضاء لحاجات عاطفية دفينة في أعماق النفس البشرية , قد ندركها وقد لا يمكننا أن نسبر أغوارها ونتعرف على دوافعها والقوى الكامنة وراءاها , والحاجات المختبئة خلف جدرانها وحواجزها الغارقة في مياه اللاوعي والتبصر.

وما أعذب جنون الحب , وما أصدق التعبير عن المشاعر والأحاسيس المجنونة الفاعلة في دنيا الرجل والمرأة , وهما في مسيرة التقارب والإنشداد والتحضير لتحقيق إرادة الصيرورة والبقاء بكل طاقاتهما الجينية على أرض لا تشبع من الإلتهام البشري المتواصل.

و"أغمض عينيك حتى تراني"!!

وفي الختام هل ترعوي البشرية وتثوب إلى رشدها وتحترم مخلوقاتها وتعترف بقيمة البشر وحقوقه وتحافظ على حياته من آفات السوء والبغضاء؟!!

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa398-100226.pdf

**** **** ****

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/
المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2026 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار التاسع عشر)

الشبكة تدخل عامها 26 من التأسيس و 24 على الويب

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2026

رابط تحميل الكتاب من الموقع العلمي
http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetGoldBook.pdf
رابط تحميل الكتاب من المتجر الإلكتروني
http://arabpsyfound.com/index.php?id_product=295&controller=product&id_lang=3